

العتاء الفكرى النسائى فى الحضارات - أولا : الحضارة الهندىة : تطورت الدراسة الهندىة فى القرن الخامس أو الرابع المىلادى على يد مجموعة من الباحثىن ىتقدمهم اللغوى المشهور " بانىنى Panini وكان الدافع إلى هذه التوجه العلمى خدمة كتابهم المقدس لى الهندوس وهو الذى كان ىنعت آنذاك " الفىدا [Vida] وكان محور استقطاب الفكر اللغوى الهندى هو هذه المرحلة الفىدىة حوالى القرن [1200-1000 ق. الاهتمام الأصلى عندهم (1) . لقد درس الهندو الصوت وتجلى ذلك فى أبحاث " باتىنى " اللغوىة التى أسهمت فى تطوير المنهج العلمى لدراسة الأصوات فى الثقافة اللسانىة المعاصرة - درسوا الصوت المفرد وقسموه إلى علل وأنصاف علل وسواكن ، أصوات العلة والتضىىق فى إنتاج الأصوات الاحتكاكىة. وىبنوا بأنه إذا فتح ما بىن الوترىن الصوتىىن ىنتج النفس وإذا ضىق ما بىنهما ىنتج الصوت وىان النفس ىحدث فى حالة الأصوات الساكنة المهموسة. ولم ىكتفوا بذلك بل تحدثوا عن المقطع وفصلوا فىه، القدىمة وعدوه من خصائص العلل لا السواكن وقسموه إلى ثلاث درجات ولقى الدرس النحوى عندهم العناىة الفائقة لأنه كان فى الهند ما ىقرب من اثنتى عشرة مدرسة نحوىة مختلفة وأكثر من ثلاثمائة مؤلف فى النحو ، النحوىة ما ىزىد على الألف ما بىن الدراسات الأصلىة والشارحة. وكان لكتابه المسمى " الأقسام الثمانىة شهرة فانت وغطت ما سبقه وما لحقه ، أهم ممىزات النحو الهندى: 1- البدء بجمع المادة اللغوىة وتصنىفها ثم استخلاص الحقائق منها مخالفىن فى هذا للىونانىىن الذىن بدأوا من الفلسفة وحاولوا تطبىق القواعد الفلسفىة على حقائق اللغة . 2- أنه سبق النحو الىونانى فى تحدىد أقسام الكلام : (اسم - فعل ، 4- عرف النحو الهندى الأعداد الثلاثة المفرد والمثنى والجمع . 5- قسم النحو الهندى الفعل السنسكرىتى إلى ثلاثة أقسام بحسب الزمن وهى ماض وحاضر ومستقبل وقد نالت المعاجم اهتمامهم فى شكل قوائم تضم الألفاظ الصعبة الموجودة فى نصوصهم المقدسة والذى تطور لشرح معنى كل لفظ فى القائمة وبعدهم هذا من قبىل: معاجم الموضوعات " و "معاجم المعانى (2) ثانىا: الحضارة الىونانىة : لهذه الحضارة رصىد معرفى طلائعى فى مجال الدرس اللغوى تمىزت عطاء اهتم فىه بالسمة النظرىة التى لا ىمارس فىها ، ىعول علىه فى البحث اللسانى المعاصر، م إلى 322 ق م) والمدرسة الرواقىة (1). ومما انشغل به الىونانىون فى موضوع اللغة: هل اللغة أمر طبىعى أو عرفى ناتج عن اتفاق البشر وتواضع بىنهم ، وهو الذى قسم الكلمة إلى : اسم وفعل وحرف ودرس مجالات لغوىة كالجنس والبسىط والمركب وموضوع الإعراب ، ارسطو تقسىم أفلاطون للكلمة إلى : اسم - وفعل وأضاف إليها قسما ثالثا سماه : [رابطة . وأنتج الىونانىون فى مجال المعاجم عددا ضخما منها ، المىلاد تمثل العصور الذهبىة لهذه المعاجم بخاصة فى الإسكندرىة تذكر من أشهرها معجم . أبو قراط Hippocrate ألفه عام 180 ق. ثالثا : الحضارة الرومانىة : لم تكن هذه الحضارة الوارث الشرعى تاريخىا للتراث اللغوى الىونانى بىد أنها طبعت هذه التراث بسماوات الرومان الثقافىة والحضارىة ودفعت الحركة العلمىة فى الدراسة اللغوىة وهو ما بىدو فى البحوث الدلالىة والبلاغىة . رابعا : الحضارة العربىة الإسلامىة : لم تكن أقل شأنأ من الحضارات السابقة سواء فى النشاط الفكرى بعامة أم فى النشاط اللغوى بخاصة فقد كان للعرب جهود لامعة فى مجال الدرس اللغوى نال إعجاب العلماء وتقدىرهم ، نشأ هذا البحث اللغوى فى ظل الثقافة العربىة الإسلامىة وفى إطار التحول الحضارى العمىق الذى أحدثه القرآن الكرىم فى المجتمع العربى والإنسانى كافة. ولقد تمحور هذا الجهد حول مدارس القرآن الكرىم فى علوم نعتت بأنها العلوم الإسلامىة : علم القراءات، إن الدراسة اللغوىة عند العرب زخرت برصىد معرفى هائل له مكانته العلمىة فى الفكر النسائى المعاصر لأنه ىمنك الشرعىة العلمىة فى إطار الحضارة المحققة التى اعتمد عليها فى تتمىم الأسس المعرفىة للنظرىة اللسانىة المعاصرة وهو وإن تمحور حول القرآن الكرىم لىكون متمسا بالبعده الدىنى ىتشرف بقدسىة النص القرآنى - كلام الله عز وجل - فإنه ىحمل فى عمقه أيضا الفضول العلمى والتطلع إلى إعناء الدراىة المعرفىة والعلم فى بعده الإنسانى الذى يأمر به التكلىف فى مقاصد الشرىعة . ولكن قلة من المستشرقىن درسوا تراثنا اللغوى حق درسه وقدروه حق قدره فهذا فىشر ىقول عن عمل المعجم العربى : « وإذا استثنىا الصىن فلا ىوجد شعب آخر ىحق له الفخار بوفرة كتب علوم اللغة وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسىق مفرداتها بحسب أصول العرب » (1) . . وبلدهم ذو شكل واحد ولكنهم داخل هذه الدائر ىرمزون للفرق الدقىق فى المعنى بكلمة خاصة» « ثم قال: (2) والعربىة الكلاسىكىة لىست غنىة فقط بالمفردات ولكنها غنىة أيضا بالصىغ النحوىة بىنما عبر الفىلسوف العالم ارنست رىنان عن إعجابه بالعربىة فقال: من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوىة ، التى فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانىها وحسن نظام مبانىها » (13) وقد نالت الدراسة الصوتىة عند العرب إعجاب هؤلاء المستشرقىن وذهلوا أمام دقتها فى الوصف والتقسىم الأمر الذى جعلهم ىعتقدون افتراض اقتباسهم من حضارات سابقة كالإغرىق والهند مثلما أشار فى ذلك العالم اللغوى فولرز [إلى بعض نقاط التماس بىن [بانىنى] الهندى و بىن العلوم الصوتىة التى أنشأها أوائل النحاة العرب كالخلىل بن أحمد الفراهىدى (ت 170 هـ) ونرى فكرة هذا التأثر ترجىحا ومزعا لا

ثبت له لأننا نعدده افتراضا وتخميناً لا يرقى إلى الصحة ولا يتوفر على الدليل والثبت المادي ، علم التجويد (علم القراءات كان مقترنا بعلم الأصوات وضبط مخارجها فتجد العلماء قد أدرجوا ضمن مصنفاتهم إلى جانب قواعد التلاوة فصلا أو مبحثاً يتعلق بمخارج الحروف وطريقة نطقها وصفاتها وهو ما يمكن معاينته في كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري مثلاً وغيره من العلماء الذين ذكروا في مؤلفاتهم ملاحظات في الأصوات كالجاحظ في البيان والتبيين [الباقلائي في] إعجاز القرآن و ابن سنان في إسر الفصاحة [وابن جني في] سر صناعة الإعراب وكابن أبي مريم في كتابه [الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها] ، كأبي عمر بني العلاء (ت 154هـ) والكسائي (ت 189هـ) (1). وإذا كان الدرس الصوتي عند علماء اللغة المحدثين يمثل أول خطوة في أي دراسة لغوية لأنه يتناول أصغر وحدات اللغة وهي الصوت الذي يمثل المادة الخام للكلام البشري فإن اللغويين العرب لم يبحثوا الصوت بحثاً مستقلاً ولم ينظروا في البدء إلى الدرس الصوتي النظرة التي رآها المحدثون وإنما تناولوه مختلطاً بغيره من البحوث ؛ ويعد ابن جني (ت 392هـ) أول مستعمل لمصطلح اللغوي الدال على هذا العلم الذي مازلنا علم الأصوات (1) وخصه ابن سينا الفيلسوف المشهور برسالة تعرف . نستعمله حتى وقتاً أسباب حدوث الحروف ومن أهم نتائج الدراسة الصوتية لدى العرب: أ- وضع أبجدية صوتية اللغة العربية رتبت أصواتها بحسب المخرج بدءاً من أقصى الخلق على الشفتين وأول واضح لذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) تشمل تسعة ب تحدث العرب عن أعضاء النطق ومخارجها الأصوات بالتفصيل وصنفوا الأصوات بحسب مخارجها وهي ثمانية مخارج عند الخليل، سبعة عشرة كسيبويه ابن دريد وابن جني وعلماء التجويد ج - عرف العرب أن طريقة التحكم في الهواء عامة في إنتاج الصوت وقسموا الأصوات تبعاً لذلك إلى شديدة ورخوة ومتوسطة . د فصل العرب الأصوات المطبقة عن غيرها فهي الصاء الضاء والطاء والظاء . هـ - عرفوا الرنين الذي قد يصحب نطق الأصوات مثل الأصوات المجهورة وقسموا الأصوات بحسب هذا الرنين أو عدمه إلى مجهورة ومهموسة و - قسم العرب الأصوات إلى صحيحة ومعتلة. ز - عرفوا أقسام أصوات العلة فقسموها إلى قصيرة وطويلة وأطول (1) . وعلى أية حال ليس هذا مجال تفصيل الدرس الصوتي أو الصرفي أو النحوي عند العرب ولكننا نقول : أنه لم يعرف أي دراسة لغوية للعرب قبل الإسلام فهم مسبقون من الأمم الأخرى التي ذكرناها بجهود راسخة قبل ظهور الإسلام بقرون. وبعد ظهور الإسلام لم تكن عنايتهم موجهة إلى البحث اللغوي لأنهم انشغلوا بتوجيه اهتمامهم أولاً إلى العلوم الشرعية والإسلامية وحين فرغوا منها اتجهوا إلى غيرها من العلوم فقد ذكر السيوطي قوله: إنه منذ منتصف القرن الثاني الهجري بدأ علماء المسلمين يسجلون الحديث الشريف ويؤلفون في الفقه الإسلامي والتفسير القرآني، لـ} {Y نريد أن نبسط بعض القضايا قبل أن نسير إلى تطابق وجهات النظر بين بعض العلماء المدرجين في الدراسة مثل دي دوسير، وبين (الإمام عبد القاهر الجرجاني) في بعض المسائل اللغوية . الجملة - موضوع تعلق الكلم بعضه ببعض - واهتم في كتابه (دلائل الإعجاز بالعلاقات القائمة بصورة متبادلة بين وحدات الكلام، وأكد معه بأن الهدف من اللغة لا ينحصر في إعلام السامع بمعاني المفردات وإنما اللغة وضعت للتواصل فهي ظاهرة اجتماعية لا فردية. (1) أما الدراسة اللسانية عند دي سوسير في هذا الجانب فمن أول المبادئ التي أقام دراسة اللسانية عليها هو حد الألسنة التي تتوخى الوصف والتاريخ (2) للغات التي تتمكن منها ، ومن حدها أيضاً البحث عن القوى التي تعمل باستمرار في لغات العالم كلها ونريد من وراء ذلك أن نستخلص القوانين العامة التي يمكن أن تلتقي فيها اللغات تشترك فيها، وهذه الوحدات تتركب بعضها ببعض بصورة تحقق غرض التواصل قال دي سوسير: «إنها منظومة من العلامات التي لا أهمية فيها لغير الوحدة بين المعنى والصورة السمعية ويكون فيه جزء العلامة نفسيين أيضاً (3) اللغة منظومة من العلامات التي تعبر عن فكره ما (4) نستنتج من كلامه بأنه يقر القيمة اللغوية للعناصر والوحدات التي تجمع بين المعنى والصورة السمعية . غرضها إعلام السامع خبراً يجهله ويقوم هذا النظام اللغوي على ربط الكلمات بعضها ببعض كما سبق وفقاً لمقتضيات معينة في السياقات الاجتماعية بين المتكلم السامع والمخاطب ذات دلالات عقلية وبفضل هذا النظام تتمكن اللغة من أداء وظيفتها بوصفها وسيلة اتصال الناس بعضهم ببعض، وظيفتها في التبليغ والتواصل (1) وإذا كان عبد القاهر لا ينكر أن الفكر يتعلق أصلاً باللفظة المفردة إلا أنه يؤكد أن الألفاظ أوعية للمعاني وهو هذا يربط المعنى بالفكر.